

الشيعة كما يراهم أهل السنة

خاتمة

ما يتمناه أعداء الإسلام أن تنشأ خلافات عقائدية بين المسلمين، وأن تزداد هذه الخلافات إلى أن تصل إلى درجة العدا، وأن يؤدي ذلك إلى حروب دينية، كما يحدث بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا، وبذلك يتولى المسلمون بأيديهم تبييد طاقاتهم وتمزيق وحدتهم وكسر شوكة الإسلام، وينسون أمر ربهم لهم : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَشْيَاءَ رِيحِكُمْ وَأَصْبِرُوا﴾ (الأنفال الآية ٤٦) وفي الحديث الشريف : (كونوا عباد الله إخوانا). ومحاولات إشعال هذه الفتنة ليست وليدة الآن بل كانت كذلك منذ بداية الإسلام وربما كانت أكثر شدة ومكرا مما هي عليه الآن، مع اختلاف الأساليب. إذ لم تكن في العصور الأولى للإسلام أجهزة مخابرات لدول كبرى ودول صغرى، تعمل في الخفاء وبأساليب فنية وعلمية للتأثير في العقول وإثارة المشاعر، وتعمل أيضا على تجنيد عناصر من ضعاف النفوس -وهم في كل زمان وكل مكان- ليكونوا عملاء للتشكيك وإثارة النزاعات والفتن، بعضهم يؤدي هذه الخدمة عن وعي واختيار ويحصل على الثمن، وبعضهم الآخر يقوم بنفس المهمة بدون وعي، وبدون قصد، وبحسن نية، ظنا منه بأنه يدافع عن الدين الحق. والطريق إلى جهنم- كما يقول المثل- مفروش بالنوايا الحسنة.

ولكن هناك فئة أخرى تستحق الاهتمام، لأنها من علماء الدين الشيعة وأهل السنة، يقوم كل منهم بحاربة المذهب الآخر، ودافعه في ذلك شدة الحب لمذهبه والتعصب له، وربما الجهل بكل ما في المذهب الآخر، والمثل يقول: (الناس أعداء ما جهلوا). وقد يكون دافعهم الخوف من أن تكون الدعوة إلى التقريب بين المذهبين دعوة لقبول

معتقدات الفرق المتطرفة من الجانبين، وهي فرق مرفوضة من الجانبين، أو قد يكون دافعهم خشية التقريب فينتقل الشيعة إلى مذاهب أهل السنة أو ينتقل أهل السنة إلى مذاهب الشيعة، وهذا أيضاً فرض مستبعد.

ونحن نجد كاتباً له مكانته في باكستان مثل (إحسان الهي ظهير) رئيس تحرير مجلة (ترجمان الحديث) في لاهور، وهو حاصل على ليسانس الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وماجستير في الشريعة، وفي اللغة العربية، وفي اللغة الفارسية، وفي اللغة الأردية، وفي السياسة من جامعة بنجاب في باكستان.. يؤلف كتاباً بعنوان (الشيعة والسنة) يحذّر من التقريب بين أهل السنة والشيعة. ويقول: لقد شاع في هذا الزمان القول بالاتحاد والوحدة، وكثر استعمال هاتين الكلمتين: الاتحاد والوحدة، حتى كاد ينخدع بهما السذج من المسلمين، مالم يعرفوا ما وراءهما من كيد ودس ودهاء. فالدعوة إلى الوحدة مع القاديانية تخفي حقيقة القاديانية وأنها عميلة للاستعمار في القارة الهندية الباكستانية، ووصمة عار على جبهة المسلمين المشرقة. وتثار هذه الدعوة لنتفث السموم في عقول المسلمين. كذلك الدعوة إلى الوحدة مع البهائية، وهي وليدة الروس والإنجليز والنزعات الشيعية تريد غزو الشيعة في إيران والعراق.

ويضيف الباحث الباكستاني مذهب الشيعة إلى هذه المذاهب التي يحذّر منها، فيقول: إن الشيعة ربيبة اليهود وفصيلتهم في بلاد الإسلام، ويستعملون الدعوة إلى الاتحاد وهي عندهم كلمة حق يراد بها باطل، كما نقل عن الإمام عليّ رضي الله عنه عندما سمع قول الخوارج: (لا حكم إلا لله) فقال: (كلمة حق يراد بها باطل) وقال: (سيأتي بعدى زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل). ويرى إحسان ظهير أن الزمان الذي أشار إليه الإمام عليّ هو الزمان الذي نعيش فيه الآن.

ويقول أيضاً: لقد بدأ الشيعة منذ قريب ينشرون كتباً ملفقة مزورة فى بلاد الإسلام، يدعون فيها إلى التقريب مع أهل السنة، ولكن بتعبير صحيح يريدون بها تقريب أهل السنة إليهم بترك عقائدهم، ومعتقداتهم فى الله ورسوله وأصحابه وأزواجه الطاهرات، وفى الكتاب، ويعتقون ما نسجته أيدي اليهودية الأثيمة من الخرافات فى الله، بأنه يحصل له (البداء) وفى كتاب الله بأنه محرف، وفى رسول الله بأن علياً وأولاده أفضل منه، وفى أصحابه حملة هذا الدين أنهم كانوا خونة مرتدين وفيهم أبو بكر وعمر، وعثمان، وأزواج النبي أمهات المؤمنين، وفيهن السيدة عائشة الطيبة الطاهرة بشهادة من الله فى كتابه، وفى أئمة الدين من مالك، وأبى حنيفة، والشافعى، وأحمد، والبخارى، بأنهم كانوا كفرة ملعونين- رضى الله عنهم أجمعين- وكل من عرف هذا ورد عليهم وقام على وجههم جعلوا يتصايحون عليه ويتنادون باسم الوحدة والاتحاد ويرددون قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْرِعُوا بِالنَّفْسِ أَنْ تَنْتَهِبُوا رِيحَكُمْ﴾

ثم يقول: فبعدا للوحدة التى تقام على حساب الإسلام، وإن كفار مكة طلبوا أيضاً من رسول الله ﷺ عدم الاختلاف معهم، فأجابهم بأمر من الله فى سورة الكافرون:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

وقال تعالى فى آية ١٠٨ من سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾

وقال الله تعالى فى سورة البقرة آية ١٢٩: ﴿وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝١٢٩﴾

وقال تعالى فى سورة فاطر الآيات ١٩ - ٢٢: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۝٢٢﴾

إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

ويقول الباحث الباكستاني بعد ذلك: يمكن الوحدة إن أرادوها، بالرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما حسب قوله تعالى في سورة النساء آية ٥٩ :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

ويفسر ذلك بقوله: فلنرفع الخلاف، ولنفض النزاع، ولتتوقفوا عن سب أصحاب رسول الله ﷺ وهم خيار خلق الله الذين بشرهم الله بالجنة في كتابه وقال

تعالى في سورة التوبة آية ١٠٠: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَحْسِنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

وقال الله تعالى في سورة الفتح آية ١٨: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

وقال الرسول ﷺ الناطق بالوحي: (لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني)

رواه الترمذي وقال حديث حسن. وقال ﷺ: (الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم

غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن

آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) رواه

الترمذي.

□□□

فكأن هذا الكاتب يلخص قضاياها فيما يلي:

أولاً: أن الشيعة يقولون بأن القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن الذي أنزل

على النبي ﷺ وأنه تعرض للزيادة والنقصان.

ثانياً: أنهم يوجهون السباب إلى الصحابة الذين كرمهم الله ورسوله ﷺ.

ثالثاً : أنهم يتخذون (التقية) وهى إظهار خلاف ما يبطنون وهذا كذب ونفاق وهما من الموبقات التى تدخل النار كما قال الرسول ﷺ: (إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة.. ..، وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار) رواه مسلم.

ويشتد الكاتب الباكستاني فى الهجوم على الشيعة ويقول: إنهم خذلوا الإمام علياً. وإن عقيدة الوصاية أو الولاية عند الشيعة ليست إلا ترويجاً للعقيدة اليهودية التى اختلقها اليهود من وصاية يوشع بن نون لموسى ونشروها بين المسلمين باسم وصاية على من رسول الله ﷺ، وكذلك فكرة الرجعة وهى فكرة يهودية- كما يقول- وعدم موت الأئمة، وقدرة الأئمة على أشياء لا يقدر عليها أحد من البشر، والعلم عالم يعلم به أحد، وإثبات (البداء) أى النسيان لله عزوجل.. وينقل عن يحيى بن حمزة الزيدى فى كتابه (طوق الحمامة فى مباحث الإمامة) عن سويد بن عقلة أنه قال: مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، فأخبرت علياً كرم الله وجهه وقلت: لولا أنهم يرون أنك تضمم ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك، ومنهم عبد الله بن سبأ، فقال على رضى الله عنه: (نعوذ بالله، رحمنا الله، ثم نهض وأخذ ييدى وأدخلنى المسجد، فصعد المنبر ثم قبض على لحيته، وهى بيضاء، فجعلت دموعه تتحادر عليها، وجعل ينظر للقاع حتى اجتمع الناس، ثم خطب فقال: ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله ووزيره وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين، وأنا برىء مما يذكرون، وعليه معاقب.) ومثل هذا روى فى كتب الصحاح الستة، وفى نهج البلاغة للإمام على.

ثم ينقل إحسان ظهير من الكتب القديمة أقوال الشيعة فى الطعن فى أبى بكر، وعمر، وعثمان، وأمّهات المؤمنين، والعباس عم النبى، وعبدالله بن عمر، وطلحة والزبير، وأنس ابن مالك، وأبى ذر الغفارى، وسلمان الفارسى.. الخ ويذكر أحاديث كثيرة فى كفر من يطعن فى أصحاب الرسول مثل قوله ﷺ: (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى

فقولوا لعنة الله على شركم) رواه الترمذى. وقوله ﷺ: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) رواه الترمذى. وقوله (لكل نبي رفيق ورفيقى - فى الجنة- عثمان).

ويدل إحصان ظهير على العلاقات القوية بين الإمام على والخلفاء الراشدين الثلاثة بأن الإمام علياً زوج أم كلثوم -ابنته من فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ- إلى عمر بن الخطاب، كما تزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان من فاطمة بنت الإمام الحسين، وهكذا كانت العلاقات بين على وبنيه وبين الصحابة وأبنائهم علاقات مودة ومصاهرة، ولم تظهر النزعة إلى سب الصحابة إلا بعيداً عنهم.

ويؤكد أن (التقية) تتعارض مع تعاليم الإمام على، يقول الإمام على: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده) من كتاب الكافى فى الأصول باب الكذب- وقوله: (الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك) كما جاء فى نهج البلاغة- ولم يذكر عن الإمام على وأولاده أنهم كذبوا أو أظهروا بخلاف الحقيقة بحجة التقية.

هذا النقد من الكاتب الباكستانى مجرد مثال على مدى ما وصل إليه الخلاف مع الشيعة إلى حد الكراهية والعداء والاتهام بالكفر ونشر أفكار معادية للإسلام لتتشويه الإسلام.

وشيخنا الشيخ سيد سابق يرى أن الإسلام يحرم الكذب، ولكنه مع ذلك يستثنى بعض الحالات من هذه القاعدة، كأن يتحقق من الكذب مصلحة كالكذب فى الحرب، أو يكون الكذب من أجل الصلح بين المتخاصمين سواء كانوا أفراداً أم جماعات أم أمماً، أم كان الخصام بين الزوجين، كذلك يباح الكذب فى خداع العدو، أو فى توحيد الكلمة.

ويضيف الشيخ سيد سابق فى كتابه (هذا إسلامنا) أن كل قصد محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه، وإن

أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق فالكذب فيه مباح إن كان المقصود مباحا. والكذب واجب إن كان الهدف المقصود واجبا، فإذا اختلفى مسلم من ظالم وجب الكذب لإخفائه، ولو كان عنده وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب الكذب عليه بإخفائها، لأنه لو أخبر بالوديعة عنده أخذها الظالم قهرا، بينما يجب على من لديه وديعة ضمانها. وإذا استحلفه عليها لزمه أن يحلف ويورى فى يمينه، كذلك فى حالة استمالة قلب للجنى عليه فى العفو عن الجناية إذا كان ذلك لا يتم إلا بالكذب فالكذب فى هذه الحالة ليس حراما، وقد قال أبو حامد الغزالي إن من يرتكب فاحشة بينه وبين الله تعالى وسأله السلطان فله أن ينكرها، ويقول: ما شربت مثلا. وقد اشتهرت الأحاديث بتلقيين الذين ارتكبوا ما يستوجب إقامة الحد عليهم بالرجوع عن الإقرار والاعتراف، كذلك حين يُسأل إنسان عن سر أخيه فينكره ونحو ذلك.

معنى ذلك أن أهل السُّنة يبيحون الكذب فى حالات محددة، بل يقولون بأن الكذب واجب فى بعضها، والمعيار هو الموازنة بين مفسدة الكذب، والمفسدة المترتبة على الصدق، فإن كانت المفسدة فى الصدق أشد ضررا فإن للإنسان أن يكذب، وإن كان فى الكذب مفسدة يحرم الكذب، ويرى الإمام الغزالي أن الكذب على الصغار مباح إذا كان الصبى لا يرغب فى التعلم إلا بوعد أو وعيد كاذب فإن ذلك مباح، كذلك يجوز الكذب فى الشعر وقد قيل أعذب الشعر أكذبه.

وإذا فإن الكذب عند أهل السُّنة مباح فى هذه الحالات فقط لكنه يختلف عن مفهوم التقية الذى يبدو من كلام بعض الشيعة أنهم يبيحونه فى كل الأحوال وليس فى حالات معينة. بينما يقول هؤلاء: إن التقية وردت فى القرآن ويجعلونها أصلا من أصول المذهب.

مثال آخر في كتاب (الشيعة- المهدي- الدروز) للدكتور عبد المنعم النمر يقول في مقدمته: إنه عاش مدة طويلة من حياته وعلى عينيه غشاوة، إلى أن رأى صورة كبيرة للإمام عليّ في محل في العراق، وقال له صاحبه: نعرف أنكم تكرهونه! ويقول تعجبت من هذه المفاجأة ورددت سريعاً: كيف تقول هذا، وهو أحب الصحابة وآل البيت إلى قلوبنا؟ فأصر وقال: بل تكرهونه وتكرهون آل البيت كلهم!

ويقول: مرة كنت أجلس مع تاجر أنسنا إليه من أسرة البهبهاني في الكويت (نسبة إلى بلدة (بهبهان) في إيران)، وكان عائداً منها في زيارة لأسرته وقال لي: تصور أن جدتي تعتقد أننا نعمل هنا في بلاد الكفار! وقد سألتني: هل فيه مسلمون غيرنا في الدنيا؟ لأنها تعتقد أن من عدا الشيعة كفار! وضحكنا، ولم أقف عند هذا كثيراً، فهي عجوز جاهلة لا تدري من أمر الحياة شيئاً.

ويقول أيضاً: ومرة في الستينات التقيت بأستاذ محام كبير ووزير من وزراء نوري السعيد فتعارفنا وتصادقنا وقضينا أكثر وقتنا معا في المصيف في (سير) في لبنان، ثم ذهبنا بعد ذلك إلى بغداد وزرته في بيته واحتفى بي كثيراً، وأخذني في رحلة إلى المدائن، ثم إلى بابل، ودامت بيننا المراسلات، ثم عدت لمصر وأنا أحمل له أجمل الذكريات، وكنا لا نتطرق إلى حديث المذاهب والدين، ثم ذهبنا إلى بغداد وسألت عنه فلم أعثر عليه وقيل لي إنه توفي، وعز عليّ كثيراً، وحين سألت عليه وجدت محدثي يعرفني فقال لي: إنه شيعي من أسرة محترمة، ولكنه يظهر أنه سمي ولده باسم (عمر) وهو اسم تكرهه الشيعة، ولكنه أطلق عليه هذا الاسم المكروه حتى ينع عنه الحسد ويعيش، وهذه العقلية- كما يقول الدكتور النمر- عندنا ما يشبهها فنسمى الأسرة طفلها الوحيد باسم (خيشة) أو (شحات) لمنع النظرة والحسد عنه. ويضيف الدكتور النمر: زارني قادم مصري من أمريكا فروى لي قصة شاب مصري صديق له وجد عملاً في محل هناك لأحد الشيعة، فلما وجد صاحب المحل أن اسمه (عمر) طرده مع شدة حاجته إليه، لأنه لا يطيق سماع هذا الاسم!

ثم يقول إنه بعد ذلك عكف على دراسة كتب الشيعة وعجب كيف فاتته كل هذه السنوات من عمره أن يدرسها، فتكونت لديه حصيلة من المعرفة جديدة عليه، أحس أنها كذلك جديدة على الكثيرين غيره من العلماء والمتعلمين وغيرهم. وتابع ما صدر من كتب وخطب وأحاديث عن زعيم وإمام المذهب الشيعي الاثنى عشرى الإمام الخميني فوجد فيها صورة طبق الأصل مما حوتها الكتب القديمة عندهم من النظرة السوداء لغيرهم من أهل السنة. ويقول: إن مذهب الشيعة كان عالما مجهولا تماما بالنسبة له، ويتحدث عن روح العداوة بين الفرس والعرب قبل الإسلام، والفرس. كانوا أصحاب حضارة وقوة والعرب برغم فقرهم وضعفهم يشمخون بأنوفهم ويعتزون بأنفسهم، ولذلك حين حارب الروم الفرس انحاز العرب للروم ضد الفرس. وقال المفسرون إن أبا بكر انتصر للروم لأنهم كانوا أهل كتاب والفرس مجوس وثنيون يعبدون النار. وحين أخذ الرسول ﷺ يوجه كتبه إلى الملوك والرؤساء يدعوهم للإسلام في السنة السابعة للهجرة، كان كسرى ممن أرسل إليهم كتابا حمله إليه الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي، فلما بلغ كسرى الكتاب استشاط غضبا ومزقه، إذ كيف يجرؤ عربى بدوى على أن يرسل له بمثل هذا ويقول له: (أسلم تسلم فإن أبيت فأبى عليك إثم للجوس)؛ فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ، غضب، ودعا عليه، وقال ﷺ: (فرّق الله ملكه) ولم يكتف كسرى بذلك بل كتب إلى واليه في اليمن يأمره بأن يرسل إلى (هذا الرجل) برجلين جليدين ليأتيا به إليه، ونفذ الوالى الأمر وجاء الرجلان إلى الرسول ﷺ وأبلغاه بمهمتهما فأخبرهما بأن الأحوال تغيرت في بلاد الفرس، وأن كسرى ثار عليه ابنه (شيرويه) وقتله، فتعجبا، وحملهما الرسول عند رجوعهما دعوة إلى والى اليمن لأن يسلم، ويبقى وأيا من طرفه على اليمن، وانتهى الأمر بأن أسلم هذا الوالى واسمه (بازان) وظل عاملا للرسول ﷺ في اليمن بعد أن ضعفت دولة الفرس..

وفى معركة القادسية سنة ٦٣٦ ميلادية التقى جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص بجيش الفرس بقيادة (رستم) واستمر القتال ثلاثة أيام وانتهى بهزيمة الفرس وقتل رستم وتقدم المسلمون نحو العاصمة (المدائن) بعد ذلك عام ١٢ هجرية- ٦٣٧ ميلادية ففتحوها. ثم حاول الملك محاولة أخيرة فجمع جيشه واشتبك بالمسلمين عام ١٩ هجرية- ٦٤٢ ميلادية فى موقعة (نهاوند) وانتصر فيها المسلمون، وقضوا على كسرى وجيشه وسقطت دولة الفرس نهائيا. ووجد عامة الفرس فى الإسلام إنفاذا مما كانوا يعانونه من الملك والرؤساء والإقطاعيين والأغنياء المستفيدين من الحكم فأقبلوا على الإسلام بإخلاص، لكن الطبقة العليا وجدت فى الإسلام قضاء على مصالحهم، فاشتعلت قلوبهم بالحق على الإسلام، فتظاهروا بالإسلام وساروا مع التيار، لكى يسهل عليهم العمل على تخريبه من الداخل وينتقموا منه حين تواتيهم الفرصة. وكانت بداية التآمر اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب، ونفذ المؤامرة (فيروز أبو لؤلؤة) وهو مجوسى عاش فى المدينة وظل على دينه فى ظل سماحة الإسلام. ولما عجزوا عن القضاء على الدولة الإسلامية لجئوا إلى التستر والنفاق يتآمرون، ويضعون فى مرحلة الكمون خطط الهدم، وأظهروا إسلامهم، وانتموا إلى القبائل العربية الكبرى انتماء ولاء، وسموا أبناءهم أسماء عربية، وادعى كثير منهم، وبخاصة زعمائهم السياسيين أنهم ينحدرون من أصلاب أهل بيت النبوة، ودفَعوا أبناءهم إلى إتقان اللغة العربية، والتفقه فى القرآن والحديث، واتخذوا كل ذلك لإفساد الفكر العربى. وكانوا يأمرؤن أتباعهم عند أخذ العهد عليهم بسقر مايكشفونه لهم من كتاب الله، وتأويل التأويل، ويسمون ذلك (البلاغ) وغير ذلك من أسرارهم ورموزهم كما جاء فى كتاب (التنبيه والإشراف) تأليف على بن الحسين المسعودى وهو كتاب مطبوع فى مصر عام ١٩٣٨.

وينقل الدكتور النمر عن العلامة الشيخ الأثرى خطة الفرس الذين تظاهروا بالإسلام لقتل عمر، وتدخلهم في الشغب على عثمان، وتدبيرهم مع الخوارج مؤامرة لقتل الإمام عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص واشتركوا في ذلك مع القائد الفارسي (زادويه). وفي أيام الدولة الأموية تآمروا في السر مع بني العباس، من أجل تولية فارس من سلالة (يزدجر) الملك الساساني السابق حتى إنه سمي الأمويين (الشجرة الملعونة) وذلك هو أبو مسلم الخرساني! ويقول الدكتور النمر إن ما كان يضمه الخراسانيون غير ما يضمه العباسيون، ولم يخف على العباسيين أن الفرس كانوا يسعون إلى إزاحتهم ويجعلون الحكم فارسياً ولذلك تنبهوا لأبي مسلم وقضوا عليه في بادئ أمره.

وبضيف: إن الشيعة زادوا على أركان الإسلام الخمسة التي وردت في الحديث الشريف (بُنِيَ الإسلام على خمس..) زادوا ركناً سادساً هو الإيمان بالإمام المعصوم وهو عليّ وبنوه من بعده، وهذا الإمام- عندهم- هو الخليفة والحاكم للمسلمين حتى قيام الساعة، ومن لم يؤمن بالركن السادس فليس بمؤمن كما تنص على ذلك كتبهم ويتحدث بذلك علماءهم الخواص، وسرى ذلك إلى عامة الشيعة بأن من لم يؤمن بما يؤمنون به فليس بمسلم، وبأنه مخلد في النار شأن من لم يؤمن بالله. ولذلك تعمق في ذهن عامة الشيعة اعتقاد بأننا (أهل السنة) كفار، وإن كان علماءهم يتحفظون على ذلك ويقولون: هو كلام العامة الجهلاء، ولكن من الذي علم هؤلاء وأوحى إليهم بفكرهم هذا؟ ثم كيف نجد في كتب كبار حكمائهم لعن أبي بكر وعمر وعثمان ويصفونهم بأنهم كفار وأنهم خالفوا القرآن والسنة عمداً بتوليهم الحكم وإبعاد عليّ عنه وهو المتعين للحكم من الله ورسوله؟ معتمدين في ذلك على حديث قالوا إن الرسول ﷺ وهو راجع من حجة الوداع عند (غدير خم) عين به علينا ليخلفه في حكم المسلمين. ويعلق الدكتور النمر بأن هذا الحديث لم يصح بهذا

المعنى عند أهل السنة لو سمع الصحابة هذا الحديث لكان أحدهم ذكرهم به حين حدث الاختلاف حول من يكون الخليفة بعد وفاة الرسول ﷺ، وكان خلافا خطيرا، فلماذا لم يقم من يقول لهم: أريحوا أنفسكم، فالرسول ﷺ عين عليا خليفة من بعده، ولم يكن ذلك ليخفى على جميع الصحابة وما كانوا ليعصوا للرسول أمرا، ويضيف الدكتور النمر: غاية ما في الأمر أنه روى عن الرسول ﷺ قوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) وفهمه الصحابة الذين سمعوه على معنى الحب لعلي وليس تولية له ليحكم المسلمين بعده.. ويضيف: وكيف يأمر القرآن بالشورى ويجعلها صفة للمؤمنين كالصلاة فيأتي الرسول ﷺ فيجهز عليها ويخالف أمر ربه في أهم أمر من أمور المسلمين فيعين عليا وذريته حكاما إلى يوم القيامة؟

□□□

ويناقش الدكتور النمر ما قاله الإمام الخميني في كتابه (كشف الأسرار) الذي يجادل فيه أهل السنة ويدلل على صحة الاعتقاد بالركن السادس (الإمامة) وضرورة إيمان كل مسلم به. فيبدأ بما جاء في القرآن عن وراثته الملك في آية ١٦ من سورة النمل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ - وآيتي ٥، ٦ في سورة مريم: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ - ليخرج من ذلك بصحة يرثني ويرث من آل يعقوب وأجعله رب رضىا ﴿٦﴾ - ليخرج من ذلك بصحة نظريتهم في أن عليا يرث الملك والحكم عن الرسول ﷺ. ويدلل على أن أبا بكر خالف نصوص القرآن ويتهمه بأنه اخترع الحديث: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة) ثم يذكر عمر بن الخطاب ويصفه بأنه (المفتري).

ويؤكد الدكتور النمر على أن المذهب الشيعي لم يتبلور تماما كمذهب وحزب إلا متأخرا، وأن كبار آل البيت كانوا مصدر إشعاع ديني لكل المسلمين وموضع تكريم من الجميع ولم يكونوا راضين عن المغالين فيهم، بل كانوا يبعدونهم عن مجالسهم، ولم يكونوا يفرقون بين مسلم ومسلم، والشيعية أنفسهم اختلفوا في

تحديد الأئمة الذين يقولون بأنهم معينون من الله بالكتاب والسنة، وقد اختلفوا بعد الإمام جعفر الصادق فيمن يكون الإمام بعده، هل يكون من ذرية ابنه إسماعيل الذي مات في حياة أبيه ثم لذريته، أو تكون لابنه الآخر موسى الكاظم؛ وتنتج عن هذا الخلاف نشأة فرقة الإسماعيلية، وفرقة الموسوية، وسارت الإمامة من موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى ابنه علي الرضا، وهكذا. وقد افرقت الشيعة إلى عشرات الفرق ولكن يجمعهم القول بوجود الإمامة في علي ونسله. وأن عصمة الأئمة كعصمة الأنبياء.

□□□

ويردّد الدكتور النمر القول بأن للشيعة مصحفاً غير مصحف أهل السنة، ويذكر أن آية الله الخميني استشهد به في خطبة له أذاعتها إذاعة طهران الفارسية في الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر الأحد ٢ مارس ١٩٨٦م، وكان يخطب في اجتماع للسيدات للاحتفال بذكرى مولد السيدة فاطمة بنت الرسول وزوجة الإمام علي فقال: (إنه فخر للنساء جميعاً أن يتخذ يوم مولد فاطمة الزهراء يوماً للمرأة، إنه فخر ومسئولية.. فيما يتعلق بالصديقة فاطمة الزهراء أجد نفسي عاجزاً عن الحديث عنها، إلا أنني اكتفى برواية نقلت مدعمة بالأدلة، وهذه الرواية من كتاب (الكافي) تقول بأن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول بأن فاطمة الزهراء عاشت بعد وفاة والدها ٧٥ يوماً قضتها حزينة كئيبة، وكان جبريل الأمين يأتي إليها لتعزيتها وإبلاغها بالأمر التي تقع في المستقبل، وكان يتردد عليها خلال هذه الأيام.. ولا أعتقد بأن رواية كهذه وردت بحق أحد باستثناء الأنبياء العظام، وكان علي يكتب هذه الأمور، ففضية نزول جبريل على شخص ما ليست بالقضية السهلة والبسيطة، ولأعتقد بأن جبريل ينزل على كل شخص، إذ لا بد من تناسب روح الشخص الذي ينزل عليه جبريل، وبين جبريل الروح الأعظم.. الخ).

وفي مكتبة صديقه سماحة الشيخ على كاشف الغطاء- وهو من كبار علماء الشيعة فى النجف- عثر الدكتور النمر على الرواية التى استند إليها الخمينى، فى كتاب (الكافى- الأصول والروضة) الجزء الخامس طبعة المكتبة الإسلامية فى طهران، وهذا الكتاب هو المرجع الأساسى للشيعة، وصاحبه هو (ثقة الإسلام أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى المتوفى سنة ٩٢٩ هجرية، وهو عند الشيعة فى منزلة البخارى عند أهل السنة. يقول الكلينى فى (باب فيه ذكر الصحيفة الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام) (البند الخامس).. عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبى عبيدة قال: (سأل أبو عبد الله (جعفر الصادق) بعض أصحابنا عن الجفر فقال: (مملوء علماء، قال له: فالجامعة؟ قال: (تلك الصحيفة طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم مثل فخذ الفالج (الجمل الضخم). قال: فمصحف فاطمة؟ قال: فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً (هكذا) وكان قد دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبريل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها. وكان على عليه السلام يكتب ذلك، فهذا هو مصحف فاطمة عليها السلام. هذا ما جاء فى كتاب (الكافى) وقد أضاف الخمينى فى خطبته: (ولعله أخبرها بما فى أيامنا هذه).

وحين ناقش الشيخ محمد أبو زهرة صحة حديث الإمام جعفر الصادق عن (الجفر) رأى أن الذين يريدون أن يجعلوا للإمام الصادق والأئمة من بعده مرتبة تعلق مرتبة الإنسان العادى الذى يجتهد ويبحث هم الذين أضافوا إلى علومه الكثيرة علماً آخر لم يؤته بدراسة ولكنه أوتي به بوصية أودعها النبى عليه، وأودعها على من جاء بعده من الأوصياء الاثنى عشر، وقال الشيعة للحدثون إن (الجفر) هو علم الحروف الذى تعرف به الحوادث إلى انقراض العالم، وعن الإمام الصادق أن

الجفر فيه علم النبيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل. ويقول الشيخ أبو زهرة: نحن لا نعرف هذا العلم والتصرف فيه، ولكن نعرف الأحاديث عنه في مصادرهم التي تقول بأن هذا العلم شريف منحهم الله إياه.

وبعد تحليل الأحاديث التي وردت عن (الجفر) فإن الشيخ أبو زهرة ينفي نسبة الكلام عن الجفر إلى الإمام الصادق لأنه يتعلق بعلم الغيب، والله سبحانه انفرد وحده بعلم الغيب، ولا يعطى إلا لبعض الأنبياء ليثبتوا به رسالتهم، وقد قال الله تعالى عن نبيه ﷺ في سورة الأعراف آية ١٨٨: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ ويصل الشيخ أبو زهرة إلى أن نفى (الجفر) عن الإمام جعفر الصادق لا ينقص من قدره العلمي، ولا من شرفه النسبي. ويقول: إن أكثر الروايات عن (الجفر) طريقها الكليني ولا تقبل روايات الكليني لأنه هو الذي نسب إلى جعفر الصادق- أنه قال: إن في آيات القرآن نقص وزيادة، وكذبه في ذلك كبار العلماء من الشيعة الأثنى عشرية.

يلق الدكتور النمر على ذلك بقوله بأن الإخبار بأن جبريل عليه السلام نزل على فاطمة وأخبرها بأخبار، وحدثها بغيبات، وأن الإمام علياً رضي الله عنه كان كاتب وحيتها، يسمع أيضاً ويكتب، فإن هذا شيء غريب جداً، لأنه بوفاة الرسول ﷺ انقطع نزول جبريل إلى الأرض، وجبريل ما كان ينزل إلا بأمر من الله، وبوحى منه يبلغه لأحد رسل الله، فكيف يقال ويروى أن جبريل نزل على فاطمة، وأن علياً كان كاتب وحيتها، وأن ما بلغه جبريل وكتبه هو مصحف فاطمة؟

وينقل أحمد أمين عن الكافي للكليني أن مصحف فاطمة (مثل قرآنا ثلاث مرات، وليس فيه من قرآنا حرف واحد). ويقول الدكتور النمر: مثل هذه الأفكار والأخبار بعيدة وغريبة عندنا نحن أهل السنة، وكم من أمثالها من (الجفر) الذي يقول الكليني إن فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل، ومن

أمثالها أيضا (الجامعة) وغير ذلك مما ورد ذكره في الحديث المنسوب للإمام جعفر الصادق وغيره من الأئمة، وهي تصيب الإنسان بالدوار، وتوقعه في مناهات تبعد به عن تصوراته الإسلامية السليمة الثابتة عندنا بيقين، وهي تفتح الباب للدعاءات بنزول جبريل على أشخاص آخرين غير فاطمة رضى الله عنها، كما حدث بعد ذلك من المدعين أو من أتباعهم. ومن شأن هذا أن يطمس الأصل أو يحجبه، ويضعف الرؤية له، وقد سلم أهل السنة من مثل هذا، ولذلك لم يرج عندهم، ولم ينطل عليهم أى ادعاء غريب كهذا.

□□□

ويلخص الدكتور النمر الفروق بين الشيعة وأهل السنة في نقاط، فيقول إن عقيدة أهل السنة كما يلي:

- يؤمن أهل السنة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.
- ويؤمنون بالرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، أنزل عليه القرآن عربيا بمعانيه العربية دون تأويل باطنى.
- ويؤمنون بالله الخالق الرازق المدبر، القادر على كل شيء، لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله، ولا واسطة بينه وبين خلقه. خلق الخلق مباشرة دون واسطة عقل كلى أو غيره.
- ويذكرون بالتوقير صحابة رسول الله ﷺ جميعا على اختلاف درجاتهم فى البذل والعطاء وفى الفضل.

○ ويؤمنون بأن الرسول ﷺ لم يعين أحدا من صحابته ليكون خلفا له فى حكم المسلمين. وإن كانت صدرت منه إشارات فى ذلك مثل إنابته أبا بكر للصلاة بالناس فى مرض موته. وتؤمن بأن الذى تم من اختيار الصحابة لأبى بكر كان توفيقا من الله لهم. وأن حكم المسلمين إنما يكون بالشورى، يختارون من يرون أنه أفضلهم وأجدرهم بالحكم، وليس الحكم وراثيا فى أسرة من الأسر إلا بموافقة



المسلمين وليس مفروضاً عليهم وأن ما تم من اختيار الخلفاء الراشدين كان يمثل الشورى بصورها أو ببعض صورها المحكمة. فالمبدأ الأساسي هو الشورى أما وسيلة تنفيذها فيمكن أن تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

○ وأن الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون حرصوا على جمع القرآن وكتابته وإشاعته بين المسلمين بكل أمانة وإخلاص دون أى تحريف أو تبديل.

○ وأن الحاكم هو واحد من المسلمين، وكلوا إليه تدبير شؤونهم، ويجرى عليه ما يجرى على أى مسلم من الخضوع لأحكام الشريعة، وليس له فضل إلا بمقدار عمله، وليس لأحد من الخلفاء أو الحكام أو غيرهم أن يدعى أنه واسطة بين الناس وبين خالقهم فى قبول أعمالهم أو عدم قبولها، بل هو كأى فرد من المسلمين أمام الله، وأمام تعاليمه، لا يتعالى عليهم بحسب أو نسب أو جاه.

□□□

والشيعة تتلخص معتقداتهم فيما يلى:

○ يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقرآن المنزل على رسوله محمد ﷺ. لكنهم يؤمنون بأن للقرآن ظاهراً هو للعوام (وهم أهل السنة فى رأيهم) وباطناً لا يعلمه إلا أئمتهم ميراثاً عن النبي ﷺ وعلى الأئمة من بعده ويعتمدون عليه.

○ ويؤمنون بأن الحكم بعد الرسول ﷺ إنما هو حق الإمام على وحده، وأن النبي ﷺ هو الذى قرر ذلك حين رجوعه من حجة الوداع ويروون فى ذلك حديثاً لا يدل على تعيين على بالذات خليفة بعد الرسول ﷺ.

○ وبناء على قولهم هذا يحكمون بأن أبا بكر وعمر وعثمان اعتدوا على حق على فى الخلافة، وانتزعوا الحكم منه ووافقهم الصحابة على ذلك، وبذلك ظلموا أهل البيت وفى مقدمتهم السيدة فاطمة بنت الرسول رضى الله عنها، حيث لم يورثوها ما تركه الرسول ﷺ وكان قليلاً، ويتهمون الصحابة بأنهم اخترعوا حديث (نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة) ليحرموا فاطمة!

○ وأن أبا بكر والصحابة غيروا السُّنَّةَ وكذلك غيروا آيات من القرآن في حق على وآل البيت خاصة، وحذفوا منها ما يدل على حق على وآله. والصحابة لذلك معتدون وكافرون ومنافقون وكذّابون هم وكل من رضى عن عملهم من الصحابة، ولم يخرج عن ذلك سوى أربعة من الصحابة عينوهم بأسمائهم انضموا لعلىّ وحقه. ويعتقدون أن عليّاً هو الحاكم الحقيقي، وهو الإمام بعد رسول الله ﷺ، وأن الحكم بعده في ذريته من السيدة فاطمة- رضى الله عن الجميع- إلى يوم القيامة، فهم أئمة الدين وحكام الدنيا، ولا حاكم على المسلمين من غيرهم وإلا كان ظالماً وكافراً.

○ ويعتقدون بأن الرسول ﷺ علم الإمام عليّاً علماً خاصاً ولم يبع به لأحد، وبناء على ذلك فإن عليّاً هو وارث علم النبوة- علم الحقيقة- واستشهدوا على ذلك بحديث (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) وهو حديث لم يصح عند أهل السنة. وهم يعتقدون بأن الأئمة درجة فوق البشر ودون النبوة والناس عبيد لهم في الطاعة.

○ ويقولون: إن الإمام عليّاً لما رأى الصحابة غيروا في القرآن عرض عليهم الصحيح فرفضوه كلهم واحداً بعد الآخر، فاحتفظ به لنفسه، ثم توارثته ذريته الأئمة، وأن هذا المصحف موجود عند صاحب الزمان- المهدي- وسيعود به حين يعود، ويسمح لهم الآن بقراءة المصحف الموجود المعروف منه، إلى أن يظهر القرآن الصحيح مع المهدي. وهذا القول منهم ورد في كتب التفسير والحديث وعلم الكلام للشيعية، ويقولون: إنه قد روى في ذلك عندهم ما يزيد على ألفى حديث. وهم لا يقبلون الحديث عن الصحابة وتابعيهم لأنهم- عندهم- كفار، ولا يقبلون الحديث إلا عن الذين أيدوا الإمام عليّاً وهم: المقداد، وأبو ذر، وسلمان الفارسي، ويضاف عمار، وعندهم أربعة رواة آخرون لا يثقون إلا بهم هم: زرارة بن أعين، وأبوبصير الليث المرادي، ومحمد بن مسلم، ويزيد بن معاوية الجعلى، وهم الذين مدحهم الإمام جعفر الصادق، وقال عنهم: هؤلاء حفاظ الدين، وأمناء أبى على حلال الله وحرامه.

وقد تجد عندهم أحاديث رواها البخارى أو مسلم أو غيرهما من رواة الحديث من أهل السنة، ولكنهم لم يعتمدوها إلا من رواة من الموثوق بهم عندهم من الشيعة. ○ وهم يعتقدون بنزول الوحي والملائكة على أئمتهم، وقد عقدوا لذلك أبوابا فى كتب الحديث عندهم، كما يعرف ذلك حتى من مراجعة فهارسها كما جاء فى كتاب (بصائر الدرجات) لمحمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هـ - وكتاب (الكافى) للكلىنى.

○ ويعتقدون بالرجعة، ومعناها رجوع المهدي وكذلك رجوع بعض الأشخاص الذين ظلموا الإمام علياً وذريته ليحاكمهم وينتقم منهم ثم يعودون للموت، وتعلو- بعد ذلك- كلمة آل البيت، على أن ذلك الاعتقاد ليس خاصا بالاثنى عشرية بل هو عام لدى الشيعة، وسموه المهدي، وسماه الإسماعيلية القائم أو صاحب الزمان. ○ وهم يؤمنون بالتقية. وهى عقيدة عند كل الفرق، وتمثل مبدأ خطيرا يزعزع الثقة فى كلامهم وأفعالهم.

○ وهم جميعا يقررون أن الله يجوز عليه (البداء) ويقصدون أن الله يظهر له أمر لم يكن يعلمه فيغير كلامه وفعله وحكمه تبعا لما يستجد من علمه، ومن ذلك ما رووه عن الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه بعد أن مات ابنه إسماعيل فى حياته فقال: ما بدا لله فى شىء كما بدا له فى إسماعيل ابنى، ما ظهر لله كما ظهر له.. الخ. وفى كتب الشيعة الكثير عن ذلك، مثل رواية الريان بن صلت قال: (سمعت الرضا عليه السلام- توفى ٢٠٢ هـ- يقول ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر، وأن يقر لله بالبداء).

ويعلق الدكتور النمر على ذلك قائلًا: صدقنى وأنا أكتب هذا تصيبنى حيرة، إذ كيف يصدر هذا عن أئمة فضلاء نجلهم جميعا كجعفر الصادق الإمام العظيم وغيره، وكيف ينسب إليهم مثل هذا.. إننى أستبعد كثيرا أن يصدر هذا عنهم، إذ

لا يمكن أن ينسبوا الجهل والخفاء لله، لا يمكن أبدا، لكن كتب الأمهات عندهم هي التي تجمع على نقل الكثير من هذه الروايات، ولذلك وجدنا كثيرا من علمائهم وفقهائهم وهو الشيخ محمد بن النعمان ويلقبونه (المفيد) يقول في كتابه (أوائل المقالات في المذاهب والاختيارات): واتفقت الإمامية على إطلاق لفظ البداء على وصف الله تعالى، وإن كان ذلك من جهة السمع (الروايات) دون القياس، أي إنهم يصدقون ذلك رواية عن الأئمة بينما يستبعده العقل!

أما لماذا اعتنقوا هذا المبدأ فإن بعض علمائهم أجابوا عن ذلك وأول من أجاب هو سليمان بن جرير قال: (إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالاتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا، وهما القول بالبداء والرجعة.. فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا لأنفسهم منزلة الأنبياء فيما كان ويكون من العلم والأخبار، فإذا قالوا لشيعتهم: إنه سيكون في الغد كذا، فإذا جاء كما قالوا، قالوا لهم: ألم نقل لكم إننا نعلم من الله عز وجل وجهته ما علمته الأنبياء؟ وإن لم يكن اعتذروا لهم بقولهم: بدا لله في ذلك شيء فغير القضاء. وقد ذكر هذا التفسير الغريب للمؤلفان الشيعيان أبو الحسن الفويختي وسعد القمي في كتابهما (فرق الشيعة). وهذا التفسير ينطبق أيضا على (التقية) حيث يمكن للأئمة الرجوع عن أي قول قالوه بحجة أنهم قالوه تقية، وبذلك يفتح الباب ويقنع العالم.

○ ويعتقدون بأن عندهم (الجفر) وهو وعاء من الجلد فيه علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وهذا يتعارض مع النص القرآني الأنعام آية ٥٩: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾

وفي روايات وكتب الشيعة الكثير من الروايات عن جعفر الصادق عن (الجفر) بأنه (مملوء علما).

○ والشيعة الإسماعيلية يعتقدون بأن الله لم يخلق الخلق ويدبر شؤونهم ولا يبرزهم ولا يحييهم ولا يميتهم.. الخ إنما الذي يفعل ذلك هو (العقل الأول) الذي صدر عن

الله، وعن العقل الأول صدر العقل الثاني، ولذلك يوصف العقل الأول بأنه الخالق الرازق.. الخ أما الله سبحانه- عندهم- فهو منزه عن الأسماء وعن الصفات والأفعال لأنه كامل، والكامل لا يتصل بالناقص (أى بالخلق). ويسمون ذلك (التوحيد).
ومن كبار مؤلفي الشيعة (الحر العاملي) المتوفى سنة ١١٠٤ هـ وفي كتابه (الفصول المهمة) طبعة إيران يقول في باب (الأئمة الاثنا عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين وغيرهم..) ويروي عن جعفر بن الباقر أنه قال: (إن الله خلق أولى العزم من الرسل وفضلهم بالعلم، وأورثنا علمهم، وفضلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله ﷺ ما لم يعلمهم، وعلمنا علم الرسول ﷺ وعلمهم).

□□□

ويقول الخميني في كتابه (ولاية الفقيه): (إن من ضروريات مذهبنا ألا ينال أحد مقامات الأئمة الروحية، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. كما وردت في رواياتنا أن الأئمة كانوا أنوارا تحت العرش قبل تكوين العالم. وعنهم نقل أنهم قالوا: إن لنا مع الله أحوالا لا يسعها ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وهذه المعتقدات من القواعد والأسس التي عليها قام مذهبنا).

ومن قواعد مذهبهم مخالفة أهل السنة في آرائهم وسمونهم (العامّة) ويرون قاعدة عن جعفر الصادق حين سئل: رأيت إن كان فقيهان عرقا حكما من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للعامّة (أهل السنة) والآخر مخالفهم فبأى الرأيين يؤخذ؟ قال: ما خالف العامّة ففيه الرشاد. فقيل له: فإن وافقها الخبران جميعا؟ قال ينظر إلى ما هم إليه أميل- حكاهم وقضاتهم- فيترك، ويؤخذ بالآخر. جاء ذلك في مقدمة الكافي للكليني تحت عنوان (فضل العلم).

□□□

وفي بحث قدمه الشيخ محمد جواد مغنّية رئيس للحكمة الشرعية في لبنان من منشورات الشركة الحديثة للطباعة والنشر في بيروت بعنوان (علّي والقرآن) يقول

فيه في ص ٢٦: (أما أسرار القرآن العلمية، ومعجزاته الغيبية، أما علومه وفنونه، وإحاطته بكل شيء، وسر ملاءمته لكل زمان، فلا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وهم محمد وأهل بيته، أما غيرهم فلا يعرف شيئاً، أو تنحصر معرفته وخبرته بمعارف أهل زمانه). ثم يقول في ص ٣٨: (كان عليّ أسقازاً لكل بعد النبي ﷺ دون استثناء، يستمدون العلوم من معينه، ويحتجون بأقواله كما يحتجون بالقرآن، فقد صح عن الرسول قوله: عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتى يردا على الحوض) ثم يقول بعد ذلك: (ونستنتج من الحديث الحقائق التالية):

إن قول الله تعالى ومحمداً ﷺ وعليّاً واحداً من حيث الحجة ووجوب الاتباع، كما دلت آية ٧ من سورة الحشر: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ دلت عليّ أن حديث الرسول ﷺ بمنزلة القرآن، ودل حديث (عليّ مع القرآن) عليّ أن قول عليّ بمنزلة القرآن أيضاً، والنتيجة الطبيعية لذلك أن عليّاً هو الوسيلة إلى الله، وحجته على الخلق، وأن الراد عليه كالراد على القرآن).

ثم قال في ص (٤٠) إن الحديث الشريف يدل دلالة واضحة عليّ أن عليّاً والقرآن سواء بسواء، وأن كل ما للكتاب من فضل وعظمة فهو لعليّ.. الخ.



يذكر الدكتور النمر أنه أثناء إقامته في الهند للتدريس في جامعة (دار العلوم ديوبند) عرف مولانا محمد منظور نعماني أحد قادة الفكر الإسلامي في الهند وكان أحد أعضاء مجلس إدارة هذه الجامعة، ويصدر مجلة قيمة باسم (الفرقان) وقد ألف كتاباً عن ثورة الخميني باسم (الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام) باللغة الأردية، وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم قال فيه: إن أمله خاب في ثورة الخميني لأنه كان ينتظر منه تصحيحاً للمذهب الشيعي لكنه استمر في سب الخلفاء الراشدين، وكرر القول بأن الحجة لا تقوم لله علي خلقه

إلا بإمام، وأن معرفة الأئمة والتسليم بهم شرط الإيمان، والأئمة هم النور الذي ذكره القرآن في آية ٨ من سورة التغابن: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ وأن طاعة الأئمة فرض كطاعة الرسل. وللأئمة حق التحليل والتحرير، وهم معصومون كالأنبياء، ولهم خصائص تميزهم عن البشر. وأغرب ما قاله الخميني- تكرر الما قاله الشيعة قبله- أن حمل الأئمة لا يكون في رحم الأم، بل يكون في جنبها، ويولد من فخدها، لأن الله يبعد الأئمة عن القذارة والنجاسة. والمؤمنون (الشيعة) بإمامة الأئمة المعصومين لهم الجنة حتى لو كانوا فاسقين، والمسلمون الآخرون (من غير الشيعة) لهم النار حتى لو كانوا من البررة المتقين. والأئمة يشهدون على أهل زمانهم يوم القيامة. وجميع الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل والزيور وغيرها موجودة لدى الأئمة يقرءونها بلغتها الأصلية، وعندهم (الجفر) فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل. وعندهم كذلك مصحف فاطمة. وأعمال العباد تعرض على الأئمة وتتوافد عليهم الملائكة. والأئمة لهم معراج كل ليلة جمعة يصلون إلى العرش وهناك يناقون العلم الجديد. والأئمة نالوا جميع العلوم التي وهبها الله للملائكة والرسل والأنبياء، ونالوا علومها لم يهبها الله للأنبياء والملائكة. وهم يعرفون ساعة موتهم، وموت الإمام باختياره. ولديهم معجزات الأنبياء. ويمتلكون الدنيا والآخرة ويهبون من يشاءون ما يشاءون..

هذا ما يقوله الخميني وما يقوله الكليني في (الكافي) أهم مرجع للشيعة.

□□□

والأستاذ الحسن الندوي من علماء أهل السنة في الهند له مؤلفات مترجمة في مصر يجيب عن سؤال: هل هذه الأقوال من الماضي ما زال يرددها الشيعة إلى اليوم، يقول: (لعل من يفكر ويقول: إن ما ظهر من فرقة الاثنى عشرية من تطرف إنما يرجع إلى ما قبل عصر العلم والتحقيق والفكر والدراسة، وقبل ارتباطهم

بالعالم الإسلامي وجماعة المسلمين، وقبل انطلاق دعوتهم إلى الثورة الإسلامية، وحينما كانوا يعيشون في نطاقهم للحدود، أما الآن فلا يستطيع شخص مثقف من الشيعة ممن يكون مطلعاً على روح الإسلام ومقاصده، وداعية إلى الإسلام، ومتأماً للوضع الذي تعيش فيه الأمة الإسلامية أن يعتقد بمثل هذه المعتقدات التي لا يكاد يصدقها العقل. ثم ينقل العلامة حسن الندوي عن الإمام الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية) قوله: (فإن للأئمة مقاما محمودا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وعوجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم ﷺ، والأئمة العظام عليهم السلام، كانوا قبل هذا العالم أنوارا، فجعلهم الله بعرشه محققين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالا يعلمه إلا الله). ويتحدث الإمام الخميني أيضا عن الإمام الغائب (المهدي) وظهوره ويقول إنها أصل من أصول العقيدة.

ويذكر الدكتور عبد المنعم النمر أن الخميني أعاد طبع كتاب الكافي طبعة جديدة وترجمه إلى اللغة الإنجليزية ويرسل دعواته إلى أنحاء العالم لينشروا مذهبه.



وللعقاد رأى في مصادر الأفكار الغربية عند الشيعة، فيقول إن البداوة العربية لم تكن معزولة عن ثقافة الأمم للحيطه. فقد كانت على اتصال بعقائد الهند وفارس والروم، وحسبنا مثال واحد من معسكر الإمام نفسه هو مثال عبد الله بن سبأ المشهور بابن السوداء، وهو يهودي، ابن زنجية، مولود في بلاد اليمن، ومذهبه الذي اشتهر به هو مذهب الرجعة الذي يجمع بين قول اليهود بظهور المنقذ من نسل داود، وقول النصارى بظهور المسيح، وقول أهل الهند بظهور الإله الذي يتقمص

جسم إنسان، وقول أهل فارس بتقدیس الأوصياء من أقرباء الملوك والأمراء، فهذه عقيدة لا تظهر من رجل يعنى لو أن أهل الجزيرة كانوا بمعزل عن ثقافات الهند والفرس والروم وبنى إسرائيل. وقد كانت عاصمة الإمام علىّ في الكوفة، وكانت مثابة للغادين والرائحين من أبناء الحضارات المعروفة في العالم بأسره، ومن المسلمين الذين عاشوا بها أو بجوارها أناس كانوا ينظرون في كتب الفرس.. ومنهم من كان يتبع طريقة الفرس والروم.

بهذا يلخص العقاد وجهة نظر أهل السُنّة في أن عقائد الشيعة تأثرت بعقائد ديانات ومجتمعات أخرى. وليس ذلك غريبا لأنه لا يمكن أن يحو الإنسان من عقله وسلوكه ما نشأ عليه هو وآبائه وأجداده، والمثال القريب على ذلك أن المصريين أسلموا وبقيت فيهم بعض طقوس وأفكار وعادات فرعونية، وهذا ما ينطبق على قبائل البدو، والفرس، والهنود، بل وينطبق على المسلمين في الصين وفي أوروبا. وإن قيل: إن الشيعة ظهرت أولا في العراق في بلد عربي قبل أن تنتقل إلى إيران بلد الفرس، فإن العقاد أجاب على ذلك بأن العراق كان فيها من كل البلاد والأجناس والديانات بعضهم دخل في الإسلام وبعضهم الآخر بقى على ديانته دون أدنى اعتراض من المسلمين وفقا للمبدأ القرآني: ﴿لِكُورِيتُ كُورِ لِي دِينِ﴾ (الكافرون آية ٦). واختلاط الفكر الإسلامي بهذه الأخلاط من الأفكار والمعتقدات والديانات لا بد أن يؤدي إلى التأثير بها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر وهذا ما سنجد في الأدب والفلسفة والفن والعادات والتقاليد وحتى في ألوان الطعام.. وهذا ما يسميه العلماء (التداخل الحضارى) أو (التفاعل بين الثقافات) .